

## إخراج الصّوت في الترتيل

ذات مساء، وخلال حديث مع سيّدة غير أرثوذكسيّة، تطرّقنا بالصّدفة الى موضوع الترتيل، وعلمت هذه السيّدة بأنني من طائفة الروم الارثوذكس. عندها، كانت أول ردة فعل لديها: "أنت أرثوذكسي؟ أما زلتم تصرخون بوجه الله؟ "

ردّة فعل هذه السيّدة فاجأتني للوهلة الاولى، ولكن بعد التفكير بموضوعية لاحظت أنها تعبّر عن واقع سائد فعلاً في ترتيلنا الارثوذكسيّ الانطاكيّ.

المشرقيّون بطبعهم يحبون الصوّت القويّ والطبقات الصوتية العالية. ولكن هنا يطرح السؤال: ألم يغلب هذا الطبع في كنائسنا على أصل الترتيل وأهدافه؟

### 1. جذور ميل المرتلين الى الصراخ:

أولاً، كما سبق وقلنا، لا شك في أنه لمشرقيتنا دور كبير في هذا الميل الى الطبقات العالية والصوت القوي.

ثانياً، صعوبة الموسيقى البيزنطية ووفرة ألحانها وقلة الذين يجيدون قراءة النوتة الموسيقية ألزمت المرتل الاول في الكنيسة على ان "يخرج حنجرته" ويرفع الطبقة و"ينتّع" في اللحن حتى يتمكن من جرّ بقية المرتلين على "القراءة" معه على اللحن الصحيح. مع الوقت، انتقلت هذه الممارسة الى التلاميذ فاستحالت تقليداً.

ثالثاً، ساهم افتقاد كنائسنا الى الهندسة الصوتية بنشر تقليد الصراخ هذا، فقوة الصوت الطبيعية، بغياب هذه الهندسة، لا تكفي لإيصال الكلمة الى كل أنحاء الكنيسة.

### 2. عدم ائتلاف الصراخ مع الصلاة:

من ناحية أولى، جاء في القانون 75 من قوانين المجمع المسكوني السادس ما يلي: "نريد من الذين يتقدمون الى الترتيل في الكنائس ان ينظموا استخدام أصواتهم على منوال لا يخرجون به حنجرتهم بالصراخ

الشديد... بل ان يتولوا ترتيل الترانيم بوعي كليّ وخشوع كثير أمام الله الناظر مكنونات الصدور."

• كتاب التيبكون، ترجمة رزق الله  
فتح الله عرمان، 1986، ص 300

هذا وان الصراخ أصلاً، أو حتى مجرد "احراج الصوت" أكثر من طبيعته لا يأتلف أصلاً مع أصول الغناء بشكل عام، حتى ولو لم يكن ترتيلاً. فاحراج الصوت يقلل قدرة المؤدي على التحكم بأدائه ويقلل من انسجام الجوق.

من ناحية ثانية، لا يوجد ما يبرر رفع "الطبقة" La Tonalité بشكل يجبر المرتل على اجهاد صوته في نغمات القطعة المرتفعة، فالموسيقى البيزنطية هي مقامية مثلها مثل الموسيقى الشرقية ولم تستحدث أسماء للطبقات فيها (ني، با، فو...) الا بعد اصلاح السنة 1814. قبل ذلك، كانت موجودة أسماء الابعاد فقط (Avvaveç،...).

• ΘΕΟΡΗΤΙΚΟΝ ΜΕΓΑ ΤΗΣ  
القسطنطينية ΜΟΥΣΙΚΗΣ  
1832، خريسانثوس المبدئي  
(المصلح)

أضف الى ذلك أن الـ Diapason، وهو الذي يستعمل لتحديد الطبقة، لم يدخل على الموسيقى البيزنطية الكنسية الا حديثاً مع لجنة السنة 1881 الموسيقية (1881 – 1883) التي حددت النغمة Ut على التردد 512 Hz متأثرة بالمثل الاوروبي.

• ألف البطريرك يواكيم الثالث هذه اللجنة في السنة 1881 بهدف "البحث عن التحسينات والتصحيحات الواجب ادخالها على نظريات وتطبيقات الموسيقى البيزنطية."

• Commission musicale de 1881 réed.  
éd. Coultoura, Athènes 1978, p. 24.  
Ce Ut correspond au La 416  
(environ) c'est à dire au La baroque  
(du XVIIe Siècle) (I. Reznikoff)

نستنتج اذاً، انه لا يوجد قاعدة تلزم المرتل بأن يتقيد بالطبقة الطبيعية بحسب الـ Diapason بل أن هذه الاخيرة يجب ان تأخذ بعين الاعتبار مجال صوت المرتلين في الجوقة وحجم الكنيسة.

ختاماً، يكفي ان يفكر المرتل، خلال الترتيل، بأنه يصلي وبأنه مسؤول عن جماعة المصلين في الكنيسة، فاما ان يساعدهم على الصلاة والتضرع فيكون قد "صلى مرتين"، واما ان يسترسل في احراج صوته فيشتت المصلين. على المرتل الا ينسى أنه في رهبة خالقه وبأنه خاطئ يلتمس غفران خطايه، فاذا ما تذكر ذلك لن يجرأ فيما بعد على ان "يصرخ بوجه الله".

بقلم جوزيف يزبك